إشراف / فاطمة رشاد

الفيلسوف الفرنسي غارودي يرحل عن دنيانا

باريس/ متابعات:

توفي الفيلسوف والمفكر الفرنسي المثير للجدل روجيه غارودي، في باريس الأربعاء الماضي عن عمر يناهز "98" عاماً.غارودي، الذي غاب عن ساحة النقاش الفكري مؤخراً، ولد في مدينة مرسيليا المتوسطية في السابع عشر من يوليو/تموز عام 1913، من عائلة متوسطة الدخل لأب يعمل محاسبا. إلا أن الشاب المشاكس الشيوعي الهوى سابقاً، الذي لطالما جذبته مسائل (الدين) بمفهومها الشامل، اختلف مع عائلته البروتستانتية، واعتنق الكاثوليكية ليهجرها فيما بعد إلى الإسلام في الثمانينيات، حيث وجد ضالته.

أما أشهر مؤلفاته التي قادته إلى خوض معارك في المحاكم الفرنسية، كتاب (الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية)، فبسببه واجه غارودي تهمة التشكيك في ارتكاب جرائم ضد الإنسانية، بعدما أثار جدلاً واسعاً في فرنسا والعالم، واتهم بمعاداة السامية.

في حين لاقى الكتاب ترحيبا واسعاً في العالمين العربي والإسلامي بعدما أدانته المحكمة الفرنسية عام 1998.

عرف عن غارودي دعوته للحوار بين المسيحية والشيوعية. وفي مسيرته الفكرية الطويلة، أخذ يقترب من الفكر الإسلامي، فأعلن إسلامه في جنيف عام 1982.وقد صرح في كتابه (الإسلام دين المستقبل) الحائز على جائزة الملك فيصل عام 1985" بأن الإسلام كان أكثر الأديان شمولية في استقباله للناس الذين يؤمنون بالتوحيد، وشكل قبوله لأتباع الديانات المختلفة في عقر داره أكبر دليل على تقبل تلك الثقافات والحضارات، والمثير للدهشة أنه في إطار توجهات الإسلام استطاع العرب آنذاك ليس فقط إعطاء إمكانية تعايش، بين الحضارات، بل أيضا إعطاء زخم قوي للإيمان الجديد من خلال الإسلام.

فقد تمكن المسلمون في ذلك الوقت من تقبل معظم الحضارات والثقافات الكبرى في الشرق وافريقيا والغرب وكانت هذه قوة كبيرة وعظيمة لهم، وأعتقد أن هذا الانفتاح هو الذي جعل الإسلام قوياً ومنيعاً".

وكان غارودي الحاصل على الدكتوراه في الآداب، والمجاز في الفلسفة، التحق بصفوف الحزب الشيوعي الفرنسي عام 1933. وفي 1940 سجن ثلاثين شهراً في معسكر بالجزائر. وفي 1945، انضم إلى اللجنة المركزية للحزب، وفي 1956 إلى المكتب السياسي. كما انتخب نائباً في 1954 وخسر في 1951، وأعيد انتخابه في الجمعية الوطنية (1956 - 1958) ثم في مجلس الشيوخ (1959 - 1962).

وبعدها تولى تدريس الفلسفة في ألبي (جنوب فرنسا) والجزائر العاصمة وباريس (1958 - 1959)، ثم أصبح محاضراً ثم أستاذاً أساسياً في الجامعة.

عدن.. العالم مر من هنا

في كتاب جاكلين بيرين (اكتشاف جزيرة العرب – خمسة قرون من المغامرة والعلم) الصادر باللغة العربية عام 1963م عن دار الكاتب العربي – بيروت ترجمة الأستاذ قدري قلعابي، تقدم لنا الكاتبة قراءات ودراسات حول الرحلات الغربية لجزيرة العرب في حقب من التاريخ شكلت عملية التدوين لمجريات الأحداث لتلك الفترة الذاكرة التي ما زالت تستعيد حضورها كلما عدنا لمرجعية ذلك الزمان .

وتحتل عدن مكانة مهمة في هذه المدونات التاريخية بفعل موقعها الجغرافي الذي جعلها في قلب الصراعات الدولية وحالة لا يمكن تجاوزها بل هي بوابة العالم ونقطة عبور ما بين الشرق والغرب وذلك ما جعل النظرة العالمية تذهب إليها عبر مختلف العصور لأن العالم مر من هنا وعدن مدينة عاصرت من الصراعات والأزمات مثل ما عرفت مراحل من الاستقرار.

في عام 1509م زار الرحالة لود فيكودي عدن وعن أحداث تلك الرحلة تقول جاكلين بيرين (وصلت السفينة التي كانت تمخر على محاذاة سواحل باب المندب إلى ميناء عدن ويقول عنها دي فارتيما أنها اشد مدينة سهلية تحصيناً رآها في حياته ترتفع الجبال على جانبيها والأسوار على الجانبين الآخرين منها.

تشرف عليها خمس قلاع ويقدر سكانها بخمسة أو ستة آلاف بيت وترسو السفن في مينائها في أسفل احد الجبال ويرتفع في أعلى هذا الجبل حصن منيع . والحر فيها شديد إلى درجة أن السوق تقام فيها في الساعة الثانية بعد منتصف الليل والسفن التي ترسو فيها تأتيها من بلاد الهند والحبشة وبلاد فارس ولا تكاد السفينة تدخل ميناءها حتى يقبل ضباط السلطان يسألون عن نوع البضائع التي تحملها والبحارة الذين على ظهرها ثم ينتزعون أشرعتها ودفتها ليتأكدوا من أنها لن ترحل قبل تأدية الضريبة المتوجبه للسلطان).

عام 1513م ظهر الأسطول البرتغالي أمام سواحل عدن بقيادة الفرنسو دي البوكرك وقد حاول هذا الأسطول الهجوم على عدن غير أن الميناء المحاط بالأسوار القوية صده عن فعله هذا وبعد تلك المرحلة جاء دور تنافس الشركات على منطقة البحر الأحمر وعدن ففي عام 1600م أسست شركة الهند الشرقية البريطانية وفي عام 1602م أسست الشركة الهولندية الشرقية الفرنسية وفي عام 1798م وصلت أول سفينة أمريكية إلى ميناء المخا في البحر الأحمر أما هولندا فقد أرسلت أول مركب لها إلى بلاد العرب عام 1614م وبريطانيا في عام 1609م وكان اسم السفينة التي جاءت إلى عدن صعود وكانت الفترة الزمنية التي استغرقها عاماً كاملاً.

وكان قائد السفينة الكابتن شاربي قد ذكر عدن فيما كتب عن رحلته تلك بأنها مكان حصين ممتنع وهي محاطة بسور له ثلاثة أبواب مغلقة وجعل الباب الأكثر تعرضاً من بينها للغزوات من جهة بحر القلزم وهو سهل الإنزال عند الطلب أما الميناء فتحيط به جبال توجد بها عدة قلاع ومراكز مراقبة أما من ناحية البحر فتحميه جزيرة شاهقة موقعها على مرمى بندقية من عدن المدينة أقيم عليها حصن منيع يتعذر فتحه سوى في حال نفدت منه المؤن لان موقعه يجعله في وضع حصين جداً فهو جبل أشبه بالقلعة الجبارة.

عام 1600م أرسلت شركة الهند الشرقية سفينة تجارية إلى منطقة البحر الأحمر بقيادة الضابط وليم كلبنج الذي سعى للوصول إلى عدن لغرض إقامة وكالة تجارية فيها غير انه لم ينجز هذا المشروع على أن البريطانيين عادوا وكرروا محاولاتهم بإرسال سفنهم إلى عدن ولكن نجاحهم لم يكن إلا في عام 1612م عندما سمح لهم حاكم اليمن العثماني بحرية التجارة على سواحل العربية الجنوبية وسواحل اليمن وكانت الخطة البريطانية في هذا المجال تبدأ اولاً بإقامة الوكالة التجارية ومن بعد إدخال القوات الحربية لغرض الحماية وخصوصاً في أول وجودهم بالمنطقة.

اهتم البريطانيون بعدن بشكل واسع بعد أن وضعها الوكيل التجاري لشركة الهند الشرقية الانجليزية بأنها مكان حصين ممتنع محاط بسور له ثلاثة أبواب وتحميه من جهة البحر الأحمر جزيرة ميون الشاهقة في مضيق باب المندب ، أقيم عليها حصن منيع يتعذر اجتيازه والدخول إلى البحر الأحمر ومن اجل توسيع المد البريطاني في مياه البحر الأحمر ازداد اهتمامها بميناء عدن فمند عام 1618م وسعت حركتها التجارية وعملت على إقامة وكالة في اليمن تراقب مصالحها التجارية كذلك عملت بريطانيا على بذل جهود واسعة منذ أواخر القرن الثامن عشر في اكتشاف شاطئ البحر الأحمر من السويس إلى باب المندب ، والغرض من هذا هو اختصار الطريق البحري حول رأس الرجاء الصالح وتغيير خط السير منه إلى خط البحر الأحمر والى السويس ثم طريق الإسكندرية.

لذلك أرسلت عام 1777م شركة الهند الشرقية البريطانية السفينة (روبـن) في عملية استطلاع لشاطئ البحر الأحمر حتى وصلت إلى المخا وبعد ذلك تواصلت رحلات السفن البريطانية حتى عام 1831م لجمع اكبر قدر من المعلومات العسكرية ولاستكمال البيانات حول شاطئ البحر الأحمر.

وبما أن عدن تحتل موقعاً مهماً عند مدخل البحر الأحمر الجنوبي تشكل حلقة اتصال بين الساحل الشرقي والغربي للبحر الأحمر والساحل الجنوبي للجزيرة العربية فقد وجهت بريطانيا أنظارها إليها منذ عام 1918م لذلك هدفت لتمهيد السبل للسيطرة على عدن وجعلها قاعدة عسكرية واقتصادية في منطقة البحر الأحمر والمحيط الهندي.

وفي إطار هذا التنافس الدولي على هذه المدينة ومن هذا المنطلق أرسلت حكومة لندن عام 1802م وفداً إلى سواحل البحر الأحمر وعدن بغرض إقامة علاقات مع حكام هذه المنطقة وكذلك لإثارتهم ضد فرنسا التي كانت قد احتلت مصر وتتطلع لمنافسة النفوذ البريطاني في هذا المكان وبالذات عند مدخل البحر الأحمر من جهة ثانية.

وخلال تلك الحقب وبعد دخول بريطانيا إلى عدن عام 1839م أصبحت بعد أن كانت لمدة طويلة مجرد نقطة عسكرية من ضمن النقاط العسكرية البريطانية في المحيط الهندي ، قاعدة عسكرية وميناء لتزويد السفن بالوقود في الدرجة الأولى من حيث الأهمية وكان عام 1828م الزمن الذي أسست فيه محطة لتزويد السفن بالوقود في المخا وفي بداية عام 1829م كان الفحم ينقل إلى جزيرة صيرة في عدن.

في عام 1879م عينت الحكومة الأمريكية احد التجار الأمريكيين في عدن وهو المستر وليم لو كرمان قنصلاً فخرياً لها وفي عام 1895م افتتحت القنصلية الأمريكية في عدن بالتواهي وكان القائم بالأعمال فيها المستر باراك وفي ديسمبر عام 1856م وصلت أول سفينة امريكية إلى عدن.

وحول التحرك الأمريكي في هذه المنطقة من عدن حتى البحر الأحمر، تقول الدكتورة مديحة أحمد درويش في كتابها (النشاط الأمريكي في جنوب البحر الأحمر – 1918 – 1944 – الصادر عن دار الشرق جدة عام 2008م) التالي: (وقد أنشئت القنصلية الأمريكية رسمياً في عدن عام 1895م وكانت عين الحكومة الأمريكية في منطقة جنوب البحر الأحمر بأسرها، وتولت مسؤولية رعاية المصالح الأمريكية القائمة ورعاية القائمين عليها في تلك المنطقة، بالإضافة إلى ذلك كان من المسؤوليات التي ألقيت على عاتقها العمل على إدخال عناصر جديدة في تجارة عدن واليمن وشبه الجزيرة العربية وما حولها، وفتح قنوات جديدة للتجارة الأمريكية التقليدية وغير التقليدية هناك وبصفة عامة يمكن القول إن إنشاء أي قنصلية أمريكية في مكان ما إنما يكون من منطلق تقديم خدمات فعلية للصالح القومي العام الأمريكي.

وكان التمثيل الدبلوماسي الأمريكي محدوداً جداً في المشرق العربي واعتبرت القنصلية الأمريكية في عدن القنصلية الأمريكية الوحيدة الواقعة على الساحل الشرقي للبحر الأحمر بين القدس وبغداد في الشمال وكراتشي وبومبي في الشرق، فكانت لذلك بمثابة برج مراقبة يتابع بدقة التطورات التي تقع في شبه الجزيرة العربية وجنوب البحر الأحمر الأمر الذي أعطى لها أهمية خاصة إذ تحملت مسؤولية أكبر في مراقبة تطورات الأحوال وجمع المعلومات والبيانات والواقع في تلك المنطقة الشاسعة ذات الحساسية العالية في العلاقات الدولية السياسية والاقتصادية والإستراتيجية.

نجمي عبدالمجيد

ومما لا شك فيه أن مستوى التمثيل الدبلوماسي في أي موقع يلعب دوراً رئيسياً في حجم المعلومات التي يمكن جمعها والنشاط الذي يمكن القيام به لذلك فإنه نظراً لأن مستوى التمثيل الدبلوماسي الأمريكي في عدن كان على مستوى القنصلية، فقد كان ذلك من العوامل التي حدت من حجم ذلك النشاط وتلك المعلومات.

وهذا يرجع إلى أن العبء الملقى على عاتق القنصلية كان – من وجهة نظرنا – أكبر من إمكانياتها، خاصة إذا وضعنا في الاعتبار أن نشاط قنصلية عدن كان يغطي – في فترة البحث – البلاد الواقعة على جانبي البحر الأحمر (السعودية – اليمن – الصومال – الحبشة) أي المنطقة التي يطلق عليها دائرة عدن، ومعظم هذه المناطق منفصلة بعضها عن بعض وتفتقر إلى وسائل الاتصال الجيدة، ويقع بعضها تحت طائلة الاستعمار الأوروبـي الأمر الـذي كان يجعل حركة المسؤولين عن القنصلية الأمريكية في عدن صعبة، كما جعل القنصلية تعاني من بطء شديد وصعوبة بالغة في الحصول على المعلومات عن المناطق التي تتبع دائرتها المذكورة).

أما الوثائق الفرنسية فإنها تقدم لنا عدة معلومات تاريخية عن الوجود الفرنسي في عدن كمدينة لها حضورها العالمي، ففي عام 1857م أقامت الحكومة الفرنسية في عدن وكالة قنصلية تصاعدت أهميتها حتى قيام الحرب العالمية الثانية (1939 – 1945م)، وفي عام 1881م أجبرت الأحوال على تحولها لقنصلية مساعدة، وفي عام 1903م عادت من جديد وكالة قنصلية، وكان مديرها القنصل المساعد موريس رياس منذ عام 1899م وظل مقر القنصلية في شركة رياس حتى عام 1928م، وكانت لها عدة مهام في عدن مثل كتاب العدول، وتسجيل وتخليص المعاملات الإدارية مثل الجوازات والقيد الرسمي وتسجيل الشهادات وغيرها من الأعمال.

وتذكر وثائق الأرشيف الفرنسي حول عدن التالي: (شهدت النهضة السكانية بهذه المستعمرة البريطانية تطوراً ملحوظاً ففي حين كان يسكنها ما يقرب من ألف شخص عام 1839م، أصبح عدد سكانها تسعة عشر ألفاً ومائتين وتسعة وثمانين عام 1872م ليصل تعداد سكان عدن إلى أربعين ألف نسمة عام 1900م وقد استوطن العديد من الفرنسيين عدن بدورهم وذلك للتفرغ لممارسة تجارة البن القادم من جميع أنحاء اليمن والمعروف ببن (الموكا) والبن القادم من هرار والمسمى لدى الفرنسيين بالبن البربري.

وتعدى النشاط التجاري إلى تصدير الجلود والبخور واللبان وشمع العسل والعاج وجميع منتجات بلاد العرب والشرق الأفريقي، وكان السيد الفرد باردي الذي وصل إلى عدن في عام 1878م من كبار التجار الأكثر شهرة حينذاك، وقد أسس لوكالته في الحديدة فرعاً لغرض تمثيل شركة باردي وبوفار وشركاه وكذلك السيد سيزار تبان الذي وصل إلى اليمن في عام 1869م ولديه (5) أو (6) من الموظفين وعمل في الاستيراد والتصدير، كان الممثل المقيم لعدد من الشركات التجارية الفرنسية والأجنبية وللعديد من شركات الملاحة، كما أسس قبل 1884م لشركاته في الحديدة وبربرة وزيلع وهرار ليصبح فيما بعد شريكاً مع وكيله السيد موريس رياس الذي جاء إلى اليمن حوالي 1877م وأسس شركة ظلت متوارثة من قرن من الزمن حتى عام 1970م).

هذه بعض المصادر التاريخية التي تكشف مراحل من حضور عدن العالمي، وكيف ظلت هذه المدينة من مناطق العبور ما بين الشرق والغرب، وكيف نظر إليها العالم من منطلق تصارع المصالح وتخطيط الأهداف، فعدن لم تكن نقطة مراقبة بل مركز تحكم في المنطقة وإدارة لصراع المصالح أو المواجهات الدولية، ومن هذا الإطار الممتد مع الأغراض الدولية حافظت عدن على منزلتها، ومازالت حتى اليوم مدينة لا يمكن أن تسقط من حسابات المرور العالمية، لأن العالم مر من هنا.

لا عذارى هنا (الجزء الثاني)

خالد أبو الدهب

المعالجة الدرامية

الزمان :

العقد الأخير من حكم الدولة المملوكية

سنة 1501 م : سنة 1517 م

المكان :

إقطاعية مملوكية بالقاهرة

الأحداث

(8)

-لا يعرف قيمة الأكرمية إلا أكرمي وكرامة الأكرمي لا تصونها إلا أكرمية..

-ابن العم لبنت العم.. وبنت الخال لابن الخال..

-إناثنا لسن سبايا كي نمنحهن لأغراب.

لم يفعلوا بنا ذلك حفاظا على النسب الشريف وإنما خوفا من انفضاح الأمر بين رجال العائلات الأخرى.. حتى منديل العرض.. الحمامة البيضاء التي كانت ترفرف ساقطة من شباك غرفة العريس بعدما يلتصق بجناحيها ورقة وردة حمراء.. حبسوها في قفصها.. لم يسمحوا لأجنحتها أن ترفرف على مدار أجيال ثلاثة.. حتى لا تطير وتفضحهم .. وليس لان منديل العرض عادة جاهلية كما يزعم مشايخ الفتنة .. والفتة.

-آآآآآآآآآآآآه يا أرض العار والكذب والخنوع

خرجت منه مثل زفرة مهمومة وهو يقترب من ربع منازل عائلة العطار.. كانت علياء أول من قابل.. وأول من مسح عن عينيها نظرة العار و المذلة

-أرفعي عينيك يا حبيبتي.. فأنت شريفة.. وإن كان هناك عار.. فهو عاري أنا .. لا عارك أنت

شق قلب صمت الليل صوته الهادر.. الـذي أيقظ أسرته وأسرة عمه وكل من في الربع من أعمام وأخوال وأقارب

-العار عار رجالك يا أكرمية.. دماء بكارات نسائك قد حقنها جبن رجالك في عروق وأوردة المماليك .. لا عذارى هنا.. لا أحرار هنا.. لا رجال هنا .. لا حياة هنا .. لا شيء غير الموت و الصمت والمقت والكبت والنفاق والانبطاح .. فألف لعنة ولعنة عليك يا أرض الخوف والعار والعفن.

-أسكتوه

-اضربوه حتى يفيق من سكره

-لقد سحره عنبر

-لقد مسه جان

مناوشات عديدة تعرض لها خلال ساعة.. تعنيف وسب وتطاول بالأيدي.. لكن ما آلمه أكثر هو موقف علي.. شقيق الزوجة وزوج الشقيقة وتوأم الروح.. وقف علي من خلف شباك غرفته يتابع ما يحدث له.. مثلما كانا يتابعان في السابق ما يحدث لعنبر.. شيء آخر أدمى قلبه في نهاية تلك الساعة.. وهي الصفعة التي نالها من يد والده.. الذي بعد نفاد صبره طالبه بان يصمت فواجهه أمام الحشد كله وقال صارخاً

-هل كانت أمي عذراء يا أبي.

(9)

في نفس الليلة عاد يحيى إلى الجبل.. محافظاً على صدق وعده للحكيم قصي.. فقد كانت علياء معه.. هي التي اختارت ذلك.. وتحدت إرادة الجميع خاصة شقيقها عليا وهي تهرول من خلف يحيى .

شهور مضت عليه هناك.. قضى معظمها في التدريب وما تبقى منها في القيام بعمليات انتقامية ضد جنود المماليك .. حتى كانت الليلة التي تمكن فيها من قتل مملوك سكران هاجم بيت أرملة عجوز.. غمس يده في دم المملوك قبل أن يلتقط خوذته وسيفه ويصعد مع أفـراد المجموعة إلى الجبل وهو يمتطي جواد المملوك.

هناك قابله قصي بسعادة لم يكن يتخيل أن يحمل تعبيراتها وجه كوجه قصي القاسي والمحتد التعبيرات دائماً.

-اذهب وقابل زوجتك..

ثم أشار قصي نحو يد يحيى التي لازالت دماء المملوك الطرية تلمع عليها

-لا تغسل هذه اليد إلا بعد الانتهاء من لقاء زوجتك

فعل يحيى كما أمره قصي.. التقى بعلياء.. ومع أن لقاءاته معها لم تنقطع منذ أن صعدت معه إلى الجبل.. إلا انه قد شعر بأنه اللقاء الأول.. إذ انه وجدها قد أصبحت عذراء.

(10)

برغم اعتراض قصي وتحذيره من اصطياد المماليك له.. هبط يحيى إلى الأكرمية ممتطيا جواد المملوك.. كان يريد أن يمنح الإكرامية وخاصة عليا فرصة أخيرة.. فلما وصل إليها هتف

-أموت مقتولاً وأشوف فيك يا بلد راجل

ثم دخل بيت عليا..وأطلعه على أمره.. طالبه أن يحذو حذوه وان يثأر لهند.. حتى يعيد البكارة إلى جسدها وجسد أمه ومن قبلهما يعيد البكارة إلى روحه التي اغتصبتها مذلة وهوان حكم المماليك.. ثم أشار نحو هند.. وقال انه مستعد لان يقتل ألف مملوك من أجلها.. لكن ذلك لن يجدي.. لأنها في عصمة رجل هو أولى بحقها من غيره.. حتى لو كان أخاها.. طالبه بان يحذو حذوه أو يطلق هنداً.. ثم امتطى جواده وعاد إلى الجبل.. وهو يصرخ في كل من يقابله

-الرجل فيكم يرني منديله

(11)

تلاحقت الضربات التي وجهها أهل الجبل إلى عسكر المماليك وأذنابهم.. كان ليحيى دور مهم في ذلك عندما استحدث طرقاً جديدة للهجوم وللإغارة على معسكرات المماليك .

عشرات المماليك قتلهم يحيى.. وفي كل مرة كان يعود إلى الجبل ويرفع يديه المخضبتين بالدماء أمام وجه قصي

-ألا تطهر هذه الدماء عرض أمي وعرض أختي ؟

-للبيت رب يحميه كما قال جد رسولنا الكريم.. ولعرض أمك وعرض أختك رجال هم أولى بحماية إعراضهم والذود عنها

-لكنهم جبنوا

-من أجل هذا استحقوا حياة العار

-إلى متى يا سيدي ؟

قالها يحيى صارخا في وجه قصي الذي بدا سعيدا بحماسته .. فقال له وهـو يشير لـلأرض من تحت قدميه

-إلى أن يسكر تراب الأرض بدماء آخر مملوك تلوث قدماه أرضنا.. عندها ستعود بكارة الروح إلى رجال الأكرمية وبكارة الجسد إلى نسائها.. حتى اللاتي سقطت أسنانهن وامتص العجز عودهن .. سيعدن عذراوات مثل حور الجنة.

-إذا.. لنجعلن من أرض الأكرمية ناراً.

-نعم.. لتكن أرض الاكرمية نارا تشوي لحم الطغاة وتطهر أرواح وأجساد أهلها من نجاسات الخزي والمذلة والعار.

(12)-

كان لكلمات قصي فعل السحر في يحيى وباقي الرجال.. الذين شددوا ضرباتهم بصورة أطارت النوم من عيني أمير الأكرمية.. الذي عقد مجلسه في حضور أعوانه من المماليك وأذنابهم من المصريين(محتسبين وملتزمين ونظار) وعدد من مشايخ الأفك يتزعمهم الشيخ عكاشة الذي عرض على الأمير خطة التصدي.

فرض ضرائب ومكوث جديدة وسحب بعض السلع الأساسية من الأسـواق ورفـع أسعار ما تبقى منها تحت مبرر تعويض الخسائر التي تسبب فيها الهجوم والاضطرابات التي أثارها حرافيش وزعار الجبل .. وكذلك حشد المدجنين وأشباه الرجال من حرافيش الاكرمية في ما يشبه ثورة مضادة تنادي بالتصدي لممارسات أهل الجبل غير المسئولة التي تنال من أمن وأمان واستقرار الأكرمية.

لم يعر قصي مخطط أمير الأكرمية أدنى اهتمام .. خاصة بعدما سرى التعاطف مع رجال الجبل بين أهل الأكرمية.. فصعد عدد كبير منهم مع زوجاتهم ومن بينهم علي وهند وزاد عدد المتطوعين في عمليات تستهدف ضرب دعائم سلطة المماليك .. مما حدا بقصي أن يخطط لعملية كبيرة تستهدف قتل محتسب الأكرمية واختطاف شيخ مشايخ الأفك والضلال المسمى بالشيخ عكاشة.

(13)

انكشف نجاح مخطط الأمير بعد تصدي عدد من رجال الأكرمية لرجال الجبل.. ففشل الجزء الأول من العملية وأفلت محتسب الأكرمية .. فعاد رجال الجبل إلى الجبل مع جثث ثلاثة من الرجال بينهم المغبوب .. وجوال يضم جسد الشيخ عكاشة..الذي لم يشف قلب قصي وضعه فوق الخازوق على أعلى سنة من الجبل.. فبكى وهو يتأمل أجساد الشهداء الثلاثة .. واعتصر قلبه الحزن مع باقي رجاله الذين هالهم أن يقتل الأكرمي بيد أكرمي دفاعا عن المماليك وأذنابهم.. عندها استدار قصي ببطء ليميم وجهه شطر الأكرمية وهو يطلق صرخة ارتجت لها جدران الجبل وأجساد من فيه من رجال

-نزعت بكوريتكم كما نزعت بكارة إناثكم يا أهل المذلة والخيانة والانبطاح .

(14)

حتى الغطاء الذي كان ينكفئ على عار أهل الأكرمية قد انكشف.. لا مولود ذكر يمتص عار أنثى غير عذراء.. ابنة عم كانت أو ابنة خال أو ذات قربى.. على مدار ثلاثة أعوام لم تحبل امرأة أكرمية بولد.. فقبع عنبر في مكانه أعلى الجبل.. بعدما شعر أن مهمته قد انتهت.. فأهل الأكرمية لم يصبحوا في حاجة إلى من يستفزهم بالتحقير من رجولتهم.. بعدما أصبحت الرجولة والكرامة والشرف محض ذكرى.. محض سراب.. وسط جيل كامل من الإناث والعار والفضيحة.

عدد من الرجال والنساء حملوا إناثهم وصعدوا باكين إلى الجبل.. عفروا وجوههم بالتراب تحت أقدام قصي ورجاله.. خيروه بين أن يدعو الله أن يرفع بلاءه عنهم أو أنهم يئدون إناثهم في سفح الجبل.. حتى يواري ترابه عارهم الذي ما بعده عار.

-لا منجاة لكم اليوم من غضب الله.. ارتـدوا إلى جاهليتكم الأولى حتى يتلاشى وجودكم.. أو ثوروا.

-لا عاصم لكم من طوفان العار والمسخ إلا بالغضب والثورة والـثـأر.. انتفضوا.. اقتصوا ممن ظلموكم ومسخوكم وأهدروا آدميتكم حتى تستحقوا أن تحيوا كراما يا رعاع.

-بكارة إناثكم هناك.. بكورية نسلكم هناك.. ما فقدتموه من كرامة ومن حقوق ومن خير ومن حب ومن حرية هناك.. مصلوب هناك.. مسجون هناك.. في عروق وأوردة الأمير الفاسد وكبار مماليكه ومحاسبيه وأغواته وخصيانه وكلابه الناهشة في لحمكم .

قـال قصي مـا قاله وهـو يشير نحو الأكرمية.. وبالتحديد.. نحو قصر أمير الأكرمية.. والى هناك.. إلى حيث أشار قصي.. توجهت الجموع الغاضبة

(15)

- هذه من أجل أمي

-هذه من أجل طفلي الذي قتله الطاعون

-هذه من اجل حبيبة وزوجة عاشت دهرا بين ذراعي دون أن ترى رجلا

-هذه من أجل أبي الذي مات مظلوما

-هذه من أجل وليد سوف يولد

-هذه من أجل شمس سوف تشرق

-هذه من أجل غد سوف يأتي

- هذه من اجل نبتة سوف تنبت.. وثمرة سوف تثمر وسماء سوف تمطر وأرض سوف تحبل بالعطاء

-هذه من أجل الحياة

-هذه من أجل الموت.. تقدس سر الموت حين يحصد أروح الكلاب

-هذه من أجل لا شيء.. فلأنكم لم تتركوا لي شيئاً.. أصبحت لا شيئا.. إنها ضربة يسددها العدم إلى العدم والمقت إلى المقت والخواء إلى الخواء.

في هذا النهار.. كان لكل رجل ليلى.. يبكي عليها .. ويبكي من أجلها.. يسكب دم المملوك الذي يقتله على جسدها .. ويغسل به جلدها حتى يمحو بصمات عصر من المذلة والهوان والتردي .

نهارا أحمرا .. نهارا بلون الدم عاشته الأكرمية.. قاتل فيه الثوار وقتلوا .. تحت ظلال الكرامة والشرف والكبرياء.. حتى خلت الإكرامية من المماليك.. فمن لم يقتل فيهم قد لاذ بالفرار.

وعندما أسبل الليل سدوله.. طاف قصي من فوق جواده بالثوار وقد ارتفعت أصواتهم بالتكبيرات.

-أذهبوا وقابلوا زوجاتكم قبل أن تغتسلوا

-وماذا يفعل من ماتت زوجته يا بني؟

التفتت أعناق الرجال المحتشدين نحو مصدر الصوت.. وعلت وجوههم تعبيرات التعجب قبل أن تقع أعينهم على صاحب الصوت الذي نادى قصي وهو اكبر من فيهم سنا قائلا "يا بني "

رجل طاعن في السن على مشارف العقد التاسع يقف ممسكا بسكين يقطر الدم من نصله وقد سكنت عيناه نظرة حزن عميقة

-أذهب إلى قبرها.. واسألها أن تسامحك يا عماه

مضى العجوز في طريقه ومن حوله تفرق الرجال نحو منازلهم .. التي انفتحت شبابيكها على مدار ساعات الليل .. ليطلق كل شباك حمامة.. و الحمامة لونها أبيض.. ترفرف ساقطة وعلى جناحيها ورقة وردة حمراء.. بعدما عادت إلى نساء الأكرمية بكارة الجسد والى أجساد رجالها.. بكارة الروح .